باب الاخبار والآراء

﴿ كتاب رصيف ، ورأي حصيف ﴾

(في المساعدة على الحرب ، بطرابلس الغرب)

لما أنذرت ايطالية البأس ، وآذنتنا بالحرب ، كتب الينا صديقنا الامير شكيب ارسلان الكاتب الشهير الكتاب الآتي من صوفر (لبنان) في ١٣ شوال ، وكتب فوقه (خصوصي) فلم ننشره في وقته ، ثم استأذناه في نشره لما فيه من أصالة الرأي ، وايقاظ الفكر ، واذكاء نار الغيرة ، وانارة مصباح البصيرة ، والتنويه بالاصلاح الديني ، والايماء الى نقمه الدنيوي ، ولم يصدنا عن ذلك اطراء الصديق لصديقه ، واعطائه اكثر من حقوقه ، فأذن لنا فنشرناه ، وهاهو ذا بنصه البليغ :

سيدي الاخ الفاضل

أعلم ان جهادكم في تهذيب الانفس ، واقامة الشريعة على قواعد العلم ، واخذ المؤمنين بحقيقة الدين ، وإنلاج الصدور ببرد اليقين ، هو الجهاد الاكبر والبلاء الاسنى ، والذي فيه استكمال الحسنى ، وان الأمة التي تفهم الدين فهمكم ، وتفقه الشرع فقهكم ، لا يخشى عليها من اعتداء ايطالي ، ولا استبداد اجنبي ، ولكن جهادكم هذا غرس لم يحن إيناعه ، وزرع لم يبن ارتفاعه ، ودون وصول ثمرته الى درجة الوفاء بالغرض ايام وليال ، واعوام طوال ، بما رسخ من الاوهام ، وسدك بالعقول من صدأ الترهات ، ونحن الآن في خطب مستعجل الرأب ، وثقب مستلزم سرعة السد ، ولا يفيدنا فيه تعنيف مفرط ، ولا لوم مقصر ، ولا جزاء خائن او مستهتر ، ولا يغنينا مع الجماح واقد الشر ، واطلال نازل البأس ، إكبار الاهمال ، والوقيعة بمديري هذه الاعمال ، بل علينا قبل ذلك واجب أعجل ، وهو تلافي ما فرط فيه غيرنا ، وإبلاء العذر فيما يطلبه الرأي العام منا ، وقد ظهر لنا بعد تقليب وجوه الحيل كلها ، وتمحيص آراء الاغلبة بأجمعها ، انه لم يبق الا طريق البر ، وان هذا الطريق مهما كان شاقاً صعباً طويلاً منشأ فانه هو الوصلة الوحيدة ، والممر الممكن ، وان طريقنا سلكه آباؤنا مراراً في فتوحاتهم ومنازلهم لجدير بأن نسلكه نحن في احرج

موقف واضيق مجال ، فان لم تساعد السياسة على امرار جنود منظمة ، فلا اقل من متطوعة ، وان لم يمكن نهوض متطوعة ، فلا اقل من تسريب ذخائر وارزاق على ظهور الجمال ، بحيث لو بدى بتسيير قطر الجمال قريباً صار المدد متصلاً ، فان في طرابلس وبنغازي والصحراء ومن قوم السنوسي رجالاً يشاغلون ايطاليا سنين طوالاً لو جرى تأمين مسئلة معيشتهم ، اذ هنالك رجالات كثيرة ، وفروسية ونجدة ، وبغضاء للعدو ، ولدى الدولة عدة آلاف من الجند ، واسلحة وعدة ، وانما يخشى على اولئك من الجوع وقلة الطعام . أفلا ينهض الاسلام في كل هذه الممالك الى إغاثتهم بما يمسك ارماقهم على الاقل ، حتى تطول الحرب ويستمر الدفاع ، فان طول اجل الحرب يستدعي تدخل الدول ، ويفت في عضد تجارة ايطاليا ، ويثير عليها ثائر سكانها ، فتقضي النازلة بصورة ليست فيها هذه الفضاضة وهذا الذل ، ولا يطأطأ فيها الرأس امام الطلياني ، فياما احلى الغلبة للانكليزي بالقياس الى هذه الحالة ، وياما احلى طعم الموت اذا صرنا نهزم امام من هزمهم الاحباش ، أفلا يكفيكم في مصر عقد الاجتماعات لوضع هذه الاعانة في موضع التحقيق ، وايفاد السعاة الى الهند والى السنوسي ، فأما من الهند فتمكن النجدة بالمال ، واما من الصحراء فبالرجال ، واما من جهة الضباط لتدريب الاهالي فالدولة تقوم بهذا الأمر ، وما نستصرخ اخواننا المصريين أولي اليسار واصحاب الحمية الا للمدد المادي ان تعذر كل مدد غيره ، واي شهم يضطلع بمثل هذا العمل اكثر منكم ، واي عمل هو اشرف من هذا ، واي سقوط ، حالاً واستقبالاً أعمق من سقوطنا اذا ذهبت طرابلس الغرب . لاجرم ان حسن الدفاع عنها ليقف بالطامعين عن سائر حوزتنا ، ويحفظ علينا هذا الثغر الباقي من كرامتنا ، وان التخاذل عن هذه النجدة يكون الاجهاز على مهجتنا العمومية ، اذ تعلم اوربا انه ليس ثمة من حياة ولا من أحياء ، وان هنالك الأعداد بدون إعداد . قصدت استيراء زندكم في هذا الغرض ، وليس ذلك على همتكم بعزيز ، ونحن في انتظار الجواب شد الله بكم الازر ، ووفقكم الى هذه الغاية افندم شكيب ارسلان

(المنار) جاءنا هذا الكتاب يرمي عن قوس عقيدتنا ، ويرينا في مرآته الصقيلة صورتنا ، وقد استفزنا الذعر ، واستفزنا العدوان المكرر ، فطفقنا نستوري زناد الهمم ، ونستسقي سحاب الجود والكرم ، فذو المال يجود بماله ، وذو القلم واللسان بمقاله ، فكتبنا الى الصديق نبشره بان حسن ظنه بالمصريين قد صدق ، وان كل ما يمكن من تنفيذ رأيه قد نفذ .

﴿ الخطر الأكبر على بلاد العرب والرأي في تلافيه ﴾

طرابلس الغرب مملكة عظيمة مساحتها اضعاف مساحة ايطالية الطامعة في استعمارها ، وإنما افقرها أمتها بخيراتها ، وكانت في يد الدولة العثمانية من عهد بعيد ولم تقدر على الاستفادة منها ولا على مساعدتها على الترقي والعمران ، لان فاقد الشيء لا يعطيه . ثم انها لم تحصن فيها الثغور ولا أقامت فيها معدات الدفاع لحفظها من الاجنبي الطامع ، بل كان من سياسة الاتحاديين الذين حلوا محل السلطان عبد الحميد ان خرجوا منها معظم ما كان فيها من العسكر والسلاح ، فبادرت إيطالية الى احتلال ثغورها ، ولولا قيام أهلها بالدفاع عنها لاحتلوا سائر أرجائها . كل هذا معروف ولكن ماذا كان بعده ؟

انبرت ايطالية بعد فعلتها بطرابلس الى مواصل جزيرة العرب المقدسة فانشأت تضرب ثغورها بعدافع اسطولها فتقتل من تقتل وتدمر ما تدمره والدولة تسمع وتبصر ولا تستطيع أن تعمل شيئا ، بل نراها تهدد ايطالية بمورد رعاياها من المملكة العثمانية اذا هي اعتدت على بعض جزائر الارخبيل او سواحل الروملي او الاناطول ، ولكنها لا تهددها ولا تفعل شيئا ولا تقول كلمة في ضرب ايطالية لثغور اليمن وحصرها هي وثغور الحجاز (ماعدا جدة التي تعارض الدول الآن في حصرها ، وما يدرينا عاقبة امرها) ومن أسباب ذلك ان الدولة جعلت من تقاليدها ان مركز عظمتها وشرفها ومجدها هو الروملي ثم الاناطول فهي تهتم بأدنى قرية أو جزيرة من الروملي وان كان جميع سكانها من الروم او البلغار ، ما لا تهتم لمملكة عربية وان كان سكانها أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقومه . وهذا من أكبر أسباب ضعف الدولة

لولا معارضة فرنسة لضربت ايطالية ثغور سورية واحتلتها كلها او بعضها ، ولو كانت ترى لها ربحا او نفعا من احتلال بعض ثغور اليمن والحجاز لاحتلتها ، ولكنها قد تخشى من الضرر أكبر مما ترجو من النفع ، وهي على كل حال لم تعتد الا على البلاد العربية إذ هي البلاد التي لا تدافع عنها أوربة لانه ليس فيها نصارى او أفرنج ، ولا الدولة ذات السيادة عليها لانها عندها من اطراف نعم السلطنة ،

لا من الاعضاء الرئيسة في الدولة، ولذلك لم تحسن ثغورها ، ولم ترسل اليها عسكرا الا لتجبر أهلها على كل ما تطلبه من المال ، او إكراههم على التجرد من السلاح ، فقد علم المصريون مما نشر في الاهرام نقلا عن مدير معارف اليمن ما كان يفعله اهل الاستانة قبل من أن حملة اليمن الاخيرة كانت مبنية على طلب الوالي من الامام إعطاء ما عند قومه من السلاح للدولة و متاع الامام من ذلك

لم تكن محاربة اليمن وحدها هي التي قصد بها جمع السلاح من أهالي البلاد بل كانت حملة حوران والكرك لاجل جمع السلاح من ارجاء سورية ، وكانت الحكومة الاتحادية تريد جمع السلاح من عرب طرابلس الغرب أيضا ولكنها لقيت من معارضة المبعوثين ماحال دون تقرير ذلك وتنفيذه . وقد سمعت في الاستانة من مصادر مختلفة ان من أصول سياسة جمعية الاتحاد والترقي جمع السلاح من العرب في كل ولاياتهم ومن الالبانيين والأكراد ، ثم ظهر صدق ذلك

نحن لا نبحث الآن عن مقاصد الاتحاديين ونياتهم ، ولا عن ضرر سياستهم التي جروا عليها او عدم ضررها ، ولا في اثبات ما يقوله خصومهم من عزمهم على بيع بعض الاطراف للاجانب بتجريده من اسباب الدفاع ، والسماح لهم بالنفوذ فيه ووسائل الانتفاع ، الذي هو الطريق المعبد للفتح السلمي والاستعمار ، وانما ننبه أهل الغيرة والروية في الاستانة وسائر المملكة ثم المسلمين عامة على ما ظهر بالحس والعيان فهدم جميع النظريات المخالفة له ، وهو ان البلاد العربية لا يمكن حفظها من اعتداء الاجانب عليها ، ودوام ارتباطها بسائر المملكة العثمانية ، الا بقوتها الذاتية وتعميم السلاح والتعليم العسكري فيها

فالواجب المحتم الذي لا تخيير فيه هو ان تبادر الدولة العلية الى ارسال السلاح الكامل حتى المدافع بأنواعها الى بلاد الشام والعراق والحجاز ونجد وكذا اليمن من غير سواحل البحر الاحمر ، وان ترسل الضباط البارعين لاجل تعميم التعليم العسكري ، والاهالي كلهم يقبلون ذلك ولا يكلفون الدولة مالا ولا نفقة تذكر . ويجب على جميع الاهالي مطالبتها بذلك ملحين ملحفين . والا فلينتظروا الساعة تأتيهم بغتة ، كما اتت اهل طرابلس وبرقة ، فقد جاء اشراطها وأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ؟ ؟